آليات الحجاج البلاغيّة في كتاب "حديث الأربعاء، الجزء الأوّل" لطه حسين

Argumentative rhetorical mechanisms in the book "Hadith al arbiaa, Part One" by Taha Hussein

د. عيسى تومي♥

أ. كمال غيابة♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI 2025 10.33705/0114-027-003-010

تاريخ الاستلام:02-12-2024-تاريخ القبـول:08-06-2025-تاريخ النّشر: 15-09-2025

ملخّص: يعالج هذا المقال موضوع آليات الحجاج البلاغيّة في الجزء الأوّل من كتاب: "حديث الأربعاء" لـ "طه حُسين" ذلك أنّ القارئ لهذا الكتاب يمكنه أن يلاحظ وبوضوح أنّ الكاتب قد وظّف فيه كثيرًا من الآليات الحجاجيّة البلاغيّة؛ ومنها بعض الصّور البيانيّة كالتّشبيه والاستعارة والكنايّة لما تتميّز به هذه الصّور من طاقة حجاجيّة، بالإضافة إلى توظيفه بعض المحسّنات البديعيّة لما تتميّز به هي الأخرى من قوّة حجاجيّة تجعل المخاطب يذعن لمطالب المتكلم ويقتنع بما جاء به من أفكار.

كلمات مفتاحيّة: حِجاج؛ آليات بلاغيّة؛ صور بيانيّة؛ محسّنات بديعيّة

♥ المدرسة العليا للأساتذة ورگلة، الجزائر، البريد الإلكتروني: toumi.aissa@ens-ouargla.dz (المؤلّف المرسل).

♥ المدرسة العليا للأساتذة ورگلة، الجزائر، البريد الإلكتروني: kamelkamelghiaba@gmail.com

Abstract: This article addresses the issue of Al-Hajjaj's rhetorical mechanisms in the book: "Hadith Al arbiaa" by Taha Hussein. The reader of this book can clearly notice that the writer has employed many rhetorical argumentative mechanisms in it. Among them are some graphic images such as simile, metaphor, and metonymy, due to the argumentative power that characterizes these images, in addition to his employing some wonderful improvements due to their argumentative power, which also makes the addressee submit to the speaker's demands and be convinced of the ideas he brought.

Keywords: Argumentation; Rhetorical mechanisms; graphic images; wonderful enhancements.

1. مقدّمة: يندرج ضمن آليات الحجاج البلاغيّة كل الأدوات والأساليب البلاغيّة التي يوظفها المتكلم في خطابه، والتي من شأنها أن تدفع بمتلقي الخطاب إلى الاقتناع بما جاء فيه، وذلك لكون هذه الأدوات البلاغيّة هي في حدّ ذاتها حجج تزيد من درجة الإذعان لدى المتلقي من خلال ما توفّره من قيمة جماليّة وطاقة إقناعيّة قادرة على التّأثير فيه. فالصّور البلاغيّة من تشبيه واستعارة وكنايّة... تنهض بدور حجاجي كبير لا يُستهان به في عمليّة الإقناع كما أنّ للمحسنات البديعيّة هي الأخرى دورا كبيرا في عمليّة الحِجاج إذ لا يقتصر دورها على زخرفة الخطاب فحسب، بل لكونها آليات يهدف المتكلم من خلالها إلى إقناع المخاطب والتّأثير فيه، ذلك أنّ أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع، وإنّما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتّبليغ.

2. مفهوم الحجاج:

1.2الحجاج لغة: جاء في مقاييس اللّغة لابن فارس (ت 395هـ) قوله: "يقال حاججت فلانا فحججتُه، أي: غلبته بالحُجّة، وذلك الظفر يكون عند الخُصومة، والجمع حُجج، والمصدر الحِجاج" [1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) قوله: يقال حاججتهُ أُحاجه حِجاجا ومحاجّة حتّى حججته، أي: غلبته بالحُجج التي أدليت بها... والحُجّة البرهان، وقيل الحُجّة ما دُوفع به الخصم. وقال الأزهري: الحُجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة... والتّحاج التّخاصم؛ وجمع الحُجّة حُجج وحِجاج، وحاجّه مُحاجّة وحِجاجا: نازعه الحُجّة... واحتجّ بالشّيء اتّخذه حُجّة قال الأزهري: إنّما سُمّيت حُجّة لأنها تُحجّ أي: تُقصد لأنّ القصد لها وإليها... والحُجّة: الدّليل والبُرهان"[2].

هذا وقد أشار الزّمخشري (ت 538هـ) في كتابه: "أساس البلاغة" إلى مفهوم الحجاج بقوله: "حجج: احتج على خصمه بحُجّة شهباء وبحُجج شُهب، وحاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما مُحاجّة ومُلاجّة، وسلك المحجّة، وعليكم بالمناهج النّيّرة والمحاجّ الواضحة"[3].

فالملاحظ أنّ المفهوم اللّغويّ للحجاج يكاد ينحصر في معنى المُخاصمة والمنازعة بقصد الظّفر عند الخصومة بين الطرفين المتحاجين أثناء عمليّة التّواصل. وإلى هذا المعنى اللّغويّ – تقريبا– تشير المعاجم اللّغويّة الغربيّة ومنها معجم: (Le petit robert) الفرنسي، الذي يُعرّف الحجاج أو (Argumentation) بأنّه مجموعة من الحُجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة [4].

وعليه؛ فإنّ الحجاج في أبسط تعريفاته هو أن يقدّم كلّ من الطّرفين المتحاجين في أثناء العمليّة التّخاطبيّة حُججه وأدلته وبراهينه لمغالبة خصمه وإقناعه بما يريده.

2.2 الحجاج اصطلاحا: ممّا جاء في التّعريف الاصطلاحي للحجاج ما ذكره أبو الوليد الباجي (ت 474هـ) في كتابه: "المنهاج في ترتيب الحجاج" فقد أشار – رحمه الله – إلى مفهوم هذا العلم وأهميته في مقدمة كتابه المنهاج؛ بقوله: "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنّه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتّضحت محجّة ولا علم الصّحيح من السّقيم ولا المُعوجّ من المستقيم" [5].

وعليه؛ فالحجاج عند دارسينا القدماء هو علمٌ قائم بذاته له قواعده وأصوله التي يقوم عليها، وغايته معرفة الحقيقة والوصول إليها.

ويذهب بعض الدّارسين العرب المحدثين المتخصصين في هذا النّوع من الدّراسات إلى أنّ الحجاج في مفهومه؛ علاقة تخاطبيّة بين طرفين: متكلّم ومُستمع حول قضيّة ما؛ متكلّم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع خصمه المستمع، وهذا الأخير له حق الاعتراض على المتكلّم إذا هو لم يقتنع بما جاء به من حجج. وفي هذا يعرّف الأستاذ طه عبد الرّحمن الحجاج بأنّه: "كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها" [6].

فالحجاج –حسب طه عبد الرّحمن –هو الآليّة التي يستعمل فيها المتكلّم اللّغة ويتجسد من خلالها الإقناع.

وفي موضع آخر يقول: "لا خطاب بغير حجاج ولا مخاطِب من غير أن تكون له وظيفة المدّعى ولا مخاطَب من غير أن تكون له وظيفة المعترض"[7].

وبحسب هذا القول، يجعل الأستاذ طه عبد الرّحمن العلاقة التّخاطبيّة أصلا في كل خطاب، وأنّ عمليّة الفهم والاستجابة لا تتحقّق إلاّ إذا كان هناك اعتراض. إذ إنّ كل خطاب الهدف منه استمالة المتكلّم للمُخاطب والتّأثير فيه بغرض إقناعه.

أمّا في الدّرس الغربي الحديث فترجعُ جلّ الدّراسات الحِجاجيّة فيها إلى اتّجاهين معرفيين كبيرين؛ يتمثّل أحدهما في النّزعة التّداوليّة في اللّغويّات الحديثة المعاصرة، بينما يمثّل الاتجاه الثّاني أعمال الخطابة الجديدة مع كلّ من: "شارل بيرلمان (Ch Perelman). و"أولبريخت تيتيكاه (O.Tyteca) اللذين يعرفان الحجاج في كتابهما: "مُصنّف في الحجاج" بأنّ: "موضوع نظريّة الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التّسليم"[8].

وفي موضع آخر من كتابهما يبيّن هذان الباحثان الغايّة من الحجاج؛ وهي: استمالة عقل المتلقي لما يُعرض عليه فتجعله يذعن لما يُطرح عليه وأن تزيد في درجة إذعانه بالاعتماد على وسائل التّأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه.[9] ذلك أنّ أنجعُ الحجاج على حدّ قول هذين الباحثين هو ما يجعل حِدّة الإذعان تزيد وتقوى درجتها لدى المتلقي.

أمّا الباحثان: "أزوالدّ ديكرو (O.Ducrot) و"جون كلود أنسكومبر (J.C. Anscombre) فقد تعرضا إلى مفهوم الحجاج وآلياته في كتابهما: (L’argumentation dans la langue) حيث يرى ديكرو: "أنّ كل قول يحتوي على فعل إقناعي، فأن تتكلّم يعني أنّك تحاجج؛ أي أنّ: (القول= الحجاج)، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجيّة، فالحجاج عنده هو علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة."[10] فكل قول- حسب

ديكرو –يتضمّن جانبًا حجاجيًّا يهدف المتكلّم من ورائه إلى ممارسة فعل إقناعي على المتلقي.

وعليه يمكن القول بأنّ الحجاج هو الطريقة التي يعرض بواسطتها المرسل حججه وأدلته داخل الخطاب بغرض استمالة عقل المتلقي وجعله يقتنع بمضمون الخطاب.

3. آليات الحجاج البلاغيّة في كتاب حديث الأربعاء ج1: ونعني بالآليات البلاغيّة جميع الأساليب البلاغيّة من الصّور البيانيّة والمحسنات البديعيّة التي يوظفها المتكلم لغرض إقناع المخاطب، والمتأمّل في أسلوب طه حسين في كتابه: حديث الأربعاء يجده يوظّف كثيرا من الآليات الحجاجيّة البلاغيّة التي يسعى من خلالها إلى الدّفاع عن أفكاره ومُحاججة خصومه من الأدباء من بني عصره.

1.3 حجاجيّة بعض الصّور البيانيّة: من هذه الصّور البيانيّة التي وظفها طه حسين كآليات حجاجيّة في كتابه هذا نجد:

– **التّشبيه:** وهو أوّل طريقة تدل على الطبيعة لبيان المعنى، وهو في اللّغة التّمثيل وعند علماء البيان هو مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة كقولك: (العلم كالنّور في الهدايّة)، فالعلم مشبه، والنّور مشبه به، والهدايّة وجه الشّبه، والكاف أداة الشّبه. فحينئذ أركان التّشبيه أربعة: مشبه ومشبه به ويسميان طرفي التّشبيه، ووجه شبه، وأداة تشبيه ملفوظة أو ملحوظة. [11]

وتكمن حجاجيّة التّشبيه في محاولة التّأثير في المتلقي عبر إنشاء علاقة تمثيل بين طرفيه، متمثلة في وجه الشّبه الذي يعدّ بؤرة الحجاج ومناطه، سواء أكان هذا الوجه الشّبهي ظاهرا ملفوظا أم محذوفا في اللفظ موجودًا في المعنى وهذا ما يدعو القارئ للبحث عنه ومحاولة ربطهما معا. والحذف أكثر إقناعا وتأثيرًا من الذكر فهو يجعل الصّورة التّشبيهيّة مشتركة بين المتكلّم والمتلقي

فيسهم هذا المتكلم بنصف الصّورة عبر كلامه الملفوظ ويترك للمتلقي إمكانيّة التّخيّل وربط العلاقة بين الطرفين، وبالتّالي فهو يحاول إقناع نفسه بنفسه. ومنه فالتّشبيه البليغ هو أعلى درجة في السّلم الحجاجي للتشبيه ثم الأقل فالأقل ذكرا.[12]

وقد ورد التّشبيه كثيرا في الجزء الأوّل من كتاب: حديث الأربعاء؛ ومن أمثلته قول طه حسين: "والغبار الذي ينتشر بينهما رقيقا سهلا، كأنّه ثوب يتنازعانه أو كأنَّه دخان نار مُضطرمة قد أُوقدت باليابس الذي يضرمها تضريمًا، وبالرّطب الذي يثير لها الدّخان." [13]

فقد شبّه الكاتب الغبار المتطاير جرّاء عدْو الحيوانين بالثّوب الذي يتنازعانه وذلك لأنّه كسا الجو لونًا أشبه بألوان الثّياب واتّخذ شكله كذلك، كما شبّهه أيضا بدخان النّار المُضطرمة في العُشب اليابس الذي يزيد في سرعة اشتعالها وبالرّطب الذي يجعلها تثير الدّخان. فقد جسّد للقارئ هذه الصّورة ليُقرب الأمر إلى ذهنه، ويجعلها أكثر إقناعا وتأثيرا في نفسيته.

ونجد كذلك التّشبيه في مواضع أخرى كقوله: "أقدم وهو قوي قادر على الإقدام، وهو أسد مقذف يقذف نفسه ويقذفه قومه كلّما جدّ الجِدّ..." [14] فهو هنا يشبّه الشّاعر "زهير بن أبي سلمى" لقوته وإقدامه بالأسد الذي لا يهاب ولا يخاف ولكن يُهاب منه وذلك محاولةً منه بإقناع خصمه بشجاعة هذا الشّاعر حتى أنّه لا يكتفي بحمايّة نفسه فقط بل يتجاوزها إلى حمايّة أهله وقومه.

وفي مثال آخر يُورده الكاتب متحدثا عن مدى كرم الشّاعر "لبيد" في إطعامه الجياع من الضّيوف، والمساكين، والجيران، والعاقر من النّساء والمطفل كثيرة الولد، والبائس من النّساء وغيرهم، حيث شبه هؤلاء بالنّوق التي تُشدّ إلى قبور الموتى لا تبرحها حتى تموت، في قوله: "إنّما يبتغي إطعام الجائعين الذين كانوا يأوُون إليه، فيهم الضّيف، وفيهم الجار، وفيهم العاقر التي لا ولد لها

وفيهم المُطفلُ قد كثر ولدها، وفيهم البائسة، أو هؤلاء البائسات يلزمن أطناب الخيمة كأنّهن النّوق التي تُشدّ إلى قبور الموتى، لا تبرحها"[15].

وفي هذا التّشبيه زيادة في إبراز كرم الشّاعر لبيد إذ إنّ بيته لا يخلو من ضيوف وغيرهم وأنّ قُدوره لا تُوضع على الأرض، وبالتّالي فقد أسهمت هذه الصّورة التّشبيهيّة التي ذكرها الكاتب في إقناع خصمه ليتبنى هذه الفِكرة ويؤمن بها.

– **الكنايّة:** والكنايّة عند البلاغيين هي إطلاق اللفظ وإرادة لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، وقد عرفها "السّكاكي" (ت 626هـ) بأنها ترك التّصريح بذكر الشّيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النّجاد لتنتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طويل القامة[16].

إنّ حجاجيّة الكنايّة تكمن في خاصيّة الإثبات والاستدلال، أين يحاول فيها المتكلم إثبات معنى أو صفة بإثبات دليلها المرتبط بظاهر هذا المعنى، فيتم من خلالها الانتقال من معنى مباشر إلى معنى غير مباشر مقصود، وذلك عن طريق الاستدلال الذي يمارسه المخاطب، والذي يكون الهدف منه إشراكه في العمليّة الحجاجيّة من خلال التّأويل، وهو ما يسهم في اقتناعه، وعلى هذا الأساس تعدّ الكنايّة من الأدوات الحجاجيّة البارزة التي يلجأ إليها المتكلّم في التّدليل على مقصوده، وذلك انطلاقا ممّا توفّره من إمكانات تأويليّة وحجاجيّة وجماليّة تؤثر في نفس المتلقي. [17]

ومن الأمثلة على ذلك قوله وهو يتحدث عن أحد الشّعراء المعاصرين له: "وإنَّ بين المعاصرين الذين نَلْقَاهُم فنَسْمَع منهم، ونتحدث إليهم...، قلتُ: ومَنْ عسى أن يكون عنترة هذا العصر الحديث؟... قلت: ما أرى إلّا أن يكون وزير التّقاليد..." [18].

حيث عبّر عن رأيه في هذا الشّاعر المعاصر له بقوله "وزير التّقاليد"، وذلك لكونه من أنصار القديم، ويكتب على شاكلة القدماء، وينهج نهجهم في بناء قصائده، وقد جاء بلفظ (وزير) ليقنع المتلقي بأنّ هذا الشّاعر هو حامل لواء الشّعر القديم في ذلك العصر، وأبرز الدّعاة للعودة إلى تراثنا العربي القديم لننهض بأدبنا، وقد ربط ذكره في حديثه بـ "عنترة بن شدّاد" لتشابههما في نظم الشّعر، إذ أنّهما يتميزان –حسب رأيه – بقوة الشّعر مع بساطة لفظه، ولو أنّه عبّر عن المعنى صراحة بذكر اسم هذا الشّاعر، لما كان له ذلك التّأثير في المتلقي ممّا سبق ذكره.

وكذلك جاء قوله: "فإنّي يا سيدي رأيتُك فاترًا عن حديث عنترة القديم، فأردت أن أثير فيك النّشاط بذكر عنترة الحديث".[19] فقد كنى عن هذا الشّاعر بعنترة الحديث دون التّصريح بذكر اسمه، وهي كنايّة تحمل القوة الحجاجيّة نفسها كما في الكنايّة السّابقة، فقد عبّر عن الشّاعر نفسه بـ "عنترة الحديث" إيمانا منه بتماثلهما في النّظم.

– **الاستعارة:** عرف عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الاستعارة بقوله: "اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللّغويّ معروف تدل الشّواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعاريّة".[20] فالملاحظ أنّ العلاقة بين المستعار والمستعار له هي علاقة مشابهة.

وللاستعارة طاقة حجاجيّة تكمن في قدرتها على التّأثير في نفسيّة المتلقي وعواطفه ومشاعره، وحمله على الاقتناع بواسطة الانتقال ممّا هو مجرد ومعنوي إلى ما هو حسي، مما يقوي الشّعور لديه بحضور الأشياء من جهة، واستمداد

مادة صورتها من المحسوس من جهة أخرى لما فيها من المبالغة في التّشبيه مع الإيجاز.[21]

وقد وردت الاستعارة في بعض المواضع من الكتاب، ومن ذلك قول الكاتب: " فمن يدري لعلّك تذوق هذه المعاني الرّائعة البارعة على بداوتها."[22] حيث شبّه المعاني بالشّيء الذي يؤكل ويُذاق، وحذف هذا المشبّه به وترك أحد لوازمه وهو كلمة يذوق على سبيل الاستعارة المكنيّة.

وترتبط الاستعارة ارتباطا وثيقا بالسّلم الحجاجي، حيث يكون القول الاستعاري دائما في أعلى درجاته مقارنة ببقيّة الأقوال العاديّة، ولهذا فإنّ لها قوة حجاجيّة كبيرة.

فلو نظرنا إلى المثالين الآتيين:

– لعلّك تفهم هذه المعاني الرّائعة.

– لعلّك تذوق هذه المعاني الرّائعة.

لَلاحظنا الفرق الكبير، والاختلاف الشّاسع في درجة الإقناع بين القولين، إذ إنّ القول الأوّل وهو القول العادي لا يحمل قوة حجاجيّة كبيرة تُلفت ذهن المتلقي وتدفعه للاقتناع، في حين أنّ القول الثّاني ذو بُعدٍ حجاجي كبير؛ اكتسب قوته الحجاجيّة تلك من المعنى المجازي الذي يدفع بذهن المتلقي إلى التّخيُّل والتّصور، ثم يدفعه تخيّله هذا بعد ذلك إلى الرّبط بين الحجّة والنّتيجة ليقوم بإقناع نفسه بنفسه.

ونمثّل هذه العلاقة وفق السّلم الحجاجي الآتي:

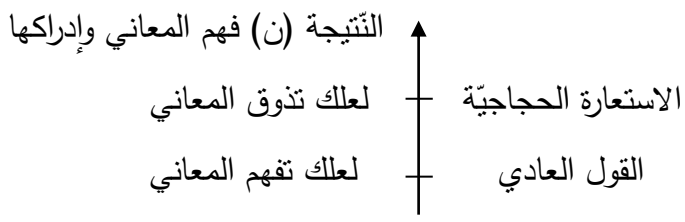

وقد وردت الاستعارة كذلك في قوله: "أو قُل: لا أكره أن نقضي ساعة مع هذا الصّدى الضّئيل المتصل الذي يتردد في أثناء الزّمن لشاعر قد نسيه الزّمن." [23] فقد شبّه الكاتب الزّمن بالإنسان الذي يستطيع أن يتذكر ويستطيع أن ينسى، وحذف هذا المشبّه به (الإنسان) وترك أحد لوازمه وهو الفعل ينسى على سبيل الاستعارة المكنيّة إذ إنّها تمثل حجّة تدعم نتيجة من قبيل: (مجهوليّة الشّاعر المراد الحديث عنه)، وقد لجأ المتكلّم إليها لما لها من سلطة حجاجيّة أقوى من غيرها، فلو قال: بدلا من: (إنسان قد نسيه الزّمن) عبارة: (شاعرٌ مجهولٌ)– مثلا – لما كان لهذه العبارة وقعٌ في النّفس كالذي نتج عن هذه الاستعارة، لما لها من القدرة على التّأثير في المتلقي أكثر من القول العادي.

ويمكن أن نمثلها في السّلم الحجاجي التّالي:

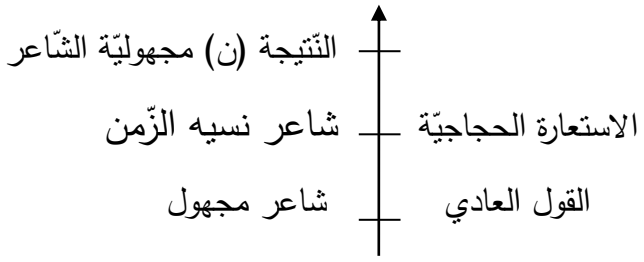

2.3 حجاجيّة بعض المُحسّنات البديعيّة: والبديع هو أحد علوم البلاغة بعد المعاني والبيان، يعرفه الخطيب القزويني (ت 739هـ) في كتابه: الإيضاح في علوم البلاغة بأنه: "علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعايّة تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدّلالة."[24]

وللمحسنات البديعيّة دور كبير في عمليّة الحجاج إذ لا يقتصر دورها على زخرفة الخطاب فحسب، بل لكونها آليات يهدف المتكلم من خلالها إلى إقناع المخاطب والتّأثير فيه، ذلك أنّ أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق

وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع، وإنّما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتّبليغ. [25]

ومن هذه المحسنات البديعيّة التي وظفها طه حسين كآليات حجاجيّة في كتابه هذا نجد:

– **الطباق:** والطباق هو الجمع بين الشّيء وضده في الكلام، وهو نوعان:

1–طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضّدان إيجابا وسلبا، كما بين لفظي: أيقاظ، ورقود في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (الكهف 18).

2–طباق السّلب: وهو ما اختلف فيه الضّدان إيجابا وسلبا. كما بين اللفظين: يستخفون، ولا يستخفون في قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ﴾ (النّساء، 108) [26].

حيث لا تتوقف وظيفة الطباق عند مجرّد الشّكل وتزيين الخطاب، بل تتجاوزه إلى وظيفة الإقناع والتّأثير، وتكمن قيمته الحجاجيّة في تمثيله للتناقض والتّضارب إذ يشدّ النّفس ويدفعها للتفكير وإدراك المعاني المقصودة، ذلك أنّ الجمع بين الشّيء وضده يُكسب الحجة الطاقة الإقناعيّة والتّأثيريّة، ويسهم في وضوح الصّورة للمتلقي. والعرب تقول في أمثالها: بالأضداد تتضح الأشياء.

ومن المواضع التي ورد فيها الطباق لغرض الحجاج في المدونة، قول الكاتب: "وأضف إلى العرب ما قالوا وما لم يقولوا، وما عملوا وما لم يعملوا." [27] بحيث يظهر التّنافر بين اللفظين: (قالوا ≠ لم يقولوا)، وبين اللفظين: (عملوا≠ لم يعملوا) على سبيل طباق السّلب، لغرض تأكيد المعنى وتوضيحه، ومن أجل أن يقنع الكاتب محجوجه بأنّ هناك طائفة من النّاس يريدون البحث كله إثباتا ويقينا، ولا يرضون بإنكار أدب أو شخص من تراثنا الأدبي العربي، فإنْ أنت أثبتّ لهم– وإن كان الإثبات خاطئا– نلت الرّضا والمودة منهم، وإن أنكرت شيئا

سخطوا عليك، فأتى الطباق ليقوي حجّة الكاتب في مدى تعصب هاته الطائفة وحيادها عن منهج البحث العلمي. والجدير بالباحث أنْ لا يلتمس رضا الجماهير على حساب رضا العلم.

وفي مثال آخر أورده الكاتب بقوله: "وقد يختلف هذا الشّعر شدّةً وليناً ويتباين عُنفًا ولُطفًا ولكن شخصيّة الشّاعر ظاهرة فيه" [28].

حيث جاء الطباق بين لفظتي (الشّدة≠ اللين) وبين لفظتي (العُنف≠ واللُّطف)، ليبيّن لنا إمكانيّة وجود ذلك الاختلاف الكبير بين القصائد الغزليّة للشّاعر الواحد إلّا أنّه يبقى أثر شخصيته محققا لا ينفصل عن أيّ قصيدة من قصائده، فاستعان بالتّضاد لإبراز فكرة أنّه مهما كانت الفجوة كبيرة بين القصائد وتباينت في ألفاظها تباينًا كبيرًا إلّا أنّنا نرى أثر شخصيّة الشّاعر ظاهرة بوضوح فيها.

– **السّجع:** هو من المحسنات البديعيّة اللفظيّة، والسّجع الكلام المقف والجمع أسجاع وأساجيع، وكلام مُسجّع... وسجّع تسجيعا: تكلّم بكلام له فواصل كفواصل الشّعر من غير وزن.[29] وهو ما أشار إليه السّكاكي (ت 626هـ) عند حديثه عن محاسن السّجع في المفتاح بقوله: "ومن جهة الحُسن الأسجاع؛ وهي في النّثر كما في القوافي في الشّعر"[30].

وتكمن حجاجيّة السّجع في إحداث ذلك الجرس الموسيقي العذب في الكلام ممّا يدفع بالمتلقي إلى الإحساس بالأريحيّة والاستقرار والقناعة بما يحُدّثه به المتكلم، وهو ما يجعله يُذعن إليه ويُقبل على ما يريده منه، وبخاصّة إذا كان هذا السّجع عفويا في الكلام ومن غير تكلّف.

ويتضح لنا هذا في بعض المواضع مما جاء في الكتاب، ومن ذلك قول الكاتب وهو يحدّث صاحبه عن الشّاعر لبيد وشعره: "... معجبين برصانة

لفظه، ومتانة أسلوبه، واعتدال وزنه، واستقامة قوافيه، وروعة معانيه في دقة لا تُشْبِهُها دِقَّة، ووضوح مع ذلك لا يشبهه وضوح." [31]

فقد تضمّن هذا الملفوظ وبفضل بعض كلماته المسجوعة مجموعة من الحجج التي تخدم نتيجة ضمنيّة مفادها قوة شعر لبيد، حيث جاء الكاتب بهذه الحجج وزخرفها بنغم موسيقي أضفى على القول قوة حجاجيّة استطاع من خلالها التّأثير في المخاطب وإقناعه، وهو ممّا يجعل النّتيجة المقصودة تتحقّق لديه.

4. خاتمة: في الختام يمكن أن نخلُص إلى جملة من النّتائج، نوردها فيما يلي:

– كتاب حديث الأربعاء (الجزء الأول) يزخر بالآليات الحجاجيّة البلاغيّة الكثيرة، التي وظفها طه حسين بطريقة فنيّة راقيّة استطاع بواسطتها إقناع خُصومه من القُرّاء وجعلهم يقتنعون بما جاء به من أفكار نقديّة في هذا الكتاب. ومن أبرز هذه الآليات البلاغيّة، نجد:

– الصّور البيانيّة كالتّشبيه والكنايّة والاستعارة، والتي تُعدّ من أنجع الأدوات الحجاجيّة التي يلجأ إليها المتكلم في التّدليل على مقصوده، وذلك انطلاقا مما

توفره هذه الصّور البيانيّة من إمكانات تأويليّة وحجاجيّة وجماليّة تؤثر في نفس المتلقي؛

– المحسنات البديعيّة التي تتمتع بدور كبير في عمليّة الحجاج، والتي لا يقتصر دورها على زخرفة الخطاب فحسب، بل لكونها آليات يهدف المتكلّم من خلالها إلى إقناع المخاطب والتّأثير فيه، ذلك أنّ أساليب المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع، وإنّما هي في الأصل أساليب للإبلاغ والتّبليغ.

5. قائمة المراجع:

- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط2، 2007م.
- أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 1426هـ- 2006م.
- الباجي أبو الوايد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التّركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2001م.
- الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001م.
- الزّمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1399هـ- 1979م.
- السّكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ - 1987م.
- السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق: يوسف الصّميلي، المكتبة العصريّة، صيدا – بيروت، لبنان. د ط، د ت.
- طه حسين، حديث الأربعاء، مؤسّسة هنداوي للنشر، يورك هاوس، المملكة المتحدة، د ط، 2014م.
- طه عبد الرّحمن، اللسان والميزان، التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
- عبد الله صولة، في نظريّة الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتّوزيع تونس، ط1، 2011م.
- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1999م.
- ابن فارس، مُعجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1399هـ- 1979م.
- القزويني جلال الدّين، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح: علي بوملحم، دار الهلال بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، 2000م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، المجلد 02.

• Le petit Robert : Dictionnaire de la langue Français, 1er redaction, Paris,1990.-

• المؤلفات: المؤلف(ة)، عنوان الكتاب، النّاشر، (مكان النّشر: النّاشر سنة النّشر) الصّفحة.

•المقالات:

•طه عبد الرّحمن، مراتب الحجاج وقياس التّمثيل، مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربيّة، العدد 09.

•علي بعداش، الأبعاد الحجاجيّة للصورة البيانيّة في الخطاب النّبوي الشّريف، مجلة العلوم الاجتماعيّة، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 02 الجزائر، العدد 24، جوان 2017م.

•الرّسائل:

•نور الدّين بوزناشة، الحجاج بين الدّرس البلاغي العربي والدّرس اللساني الغربي دراسة تقابليّة مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، 2015/ 2016م.

6. هوامش:

[1]- ابن فارس، مُعجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1399هـ- 1979م، ج2، مادة (حج) ص 30.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، المجلد 02 مادة (حجج) ص 228.

[3]- الزّمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1399هـ- 1979م ص 113.

[4]- ينظر: Le petit Robert : Dictionnaire de la langue Français, 1er redaction, Paris, p99,1990

[5]- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التّركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2001م، ص 08.

[6]– طه عبد الرّحمن: اللسان والميزان، التّكوثر العقلي. المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ص 226.

[7]– المرجع نفسه، ص 226.

[8]– عبد الله صولة، في نظريّة الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتّوزيع تونس، ط1، 2011م، ص 13.

[9]– المرجع نفسه، ص نفسها.

[10]– أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص 14– 16.

[11] – السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصريّة، بيروت، ص 219.

[12]– ينظر: موسى طهراوي، حجاجيّة الصّورة البيانيّة في صبح الأعشى، مجلة القارئ للدراسات الأدبيّة والنّقديّة واللّغويّة، جامعة البويرة، المجلد 04، العدد 03، 2021/09/30 ص 3 – 5.

[13] – طه حسين، حديث الأربعاء، مؤسسة هنداوي للنشر، يورك هاوس، المملكة المتحدة، د ط، 2014م، ج1، ص 33.

[14]– طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، ص 95.

[15]– المرجع نفسه، ص 50.

[16]– ينظر: السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ – 1987م ص 512.

[17]– ينظر: نور الدّين بوزناشة، الحجاج بين الدّرس البلاغي العربي والدّرس اللساني الغربي دراسة تقابليّة مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، 2015/ 2016، ص 372.

[18]– طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، ص 154.

[19]– المرجع نفسه، ص 161.

[20]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001م، ص 31.

[21]– ينظر:علي بعداش، الأبعاد الحجاجيّة للصورة البيانيّة في الخطاب النّبوي الشّريف مجلة العلوم الاجتماعيّة، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 02 الجزائر، العدد 24 جوان 2017م، ص 08.

[22]– طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، ص 28.

[23]– المرجع نفسه، ص 174.

[24]– القزويني جلال الدّين، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح: علي بوملحم، دار الهلال بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، 2000م، ص 287.

[25]– طه عبد الرّحمن، مراتب الحجاج وقياس التّمثيل، مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربيّة، العدد 09، ص 08.

[26]– ينظر: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1999م، ص 281.

[27]– طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، ص 184

[28]– المرجع نفسه، ص 189.

[29]– ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص 311.

[30]– السّكاكي، مفتاح العلوم، ص431.

[31]– طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، ص 27.